

جهود علماء شبه القارة في مقاومة الحركة القاديانية

*الدكتور عبد الكبير محسن

**سلطان محمود خان

Abstract

In this article ,the efforts rendered by the arabic poets against Qadianiat has been taken into the consideration .in this respect a lot of scholars have tried thier level best to eleminate this "Fitna"with their pen power.

من الفرق الضالة التي ظهرت بالهند في الزمن المتأخر فرقة القاديانية وهي نسبة إلى قاديان . قرية في الهند. مولد زعيمهم ومسكنه ومدفنه ، تنبأ بالكذب وأضل بذلك ناسا كثيرا وبذا سبق نظراءه السالفين لأن فتنته أشد ضلالة وأعظم امتدادا وأطول مدة وكان هذا المتنبي يعد من أجله العلماء قبل ادعائه النبوة أول ما بدا من أمره أنه ذو حظ ونصيب من العلوم الدينية وعرف بقوة الحجة وشدة الاستدلال في المناظرات التي كان يخوضها ضد الطوائف الأخرى واشتهر بقدرته الفائقة فيها وأسلوبه الناقض لأدلة مخالفيه فحلَّ به مكانة محمودة لدى عامة المسلمين وكسب ثقتهم وازداد تشوف المسلمين إليه لما ألف عديدا من الكتب عن الإسلام ونبهه مثل (براهين احمدية) سنة ١٨٨٠ م واستمر في دأبه في المناظرات حتى طلعت سنة ١٨٩١ م فجاء منه أول خطر جعل البعض من العلماء يحتاط في النظر إليه إذ ادعى أنه مجدد هذه الأمة وسرعان ما استبدل منه هذا الادعاء بدعوى أخرى وهي أنه هو المسيح الموعود والمهدي اللذان بشر النبي ﷺ بوجودهما في آخر الزمن فبادر نخبة من العلماء إلى الرد عليه وتنبه القوم على كذبه وضلاله مرت سنوات والمرزا غلام احمد القادياني مشغول بإشاعة فتاويه ودعاويه وكراماته المزعومة وفتوحاته الجدلية الحقيقية والمفروضة إذ فوجئ الجميع . المحسنون به الظن و المسيئون . بادعائه النبوة وإبطاله الجهاد في شبه القارة واعتباره دار الإسلام وإلزام الجميع إطاعة

*أستاذ اللغة العربية بكلية أصغر مال الحكومية . راولپندي

**محاضر في قسم الحديث والسيرة، اسلاميه يونيورسنى آف بهاولپور

الاحتلال الإنجليزي وبهذا زلزل الهند من جذورها فنهض جمٌ من العلماء يعارضونه وأفتى كبارٌهم بكفره وكفر من يصدقه ويتبعه وهؤلاء لم يألوا جهداً في سبيل ذلك ونشطوا في ذلك الجهاد بكل ما استطاعوا من تصنيف كتاب أو تحديه للمناظرة أو قرص الشعر في معارضته والرد على أقاويله

وبخصوص الأمر الأخير تناثرت أشعار تتحدث عن ختم النبوة والرسالة على سيدنا محمد ﷺ وأنه آخر النبيين قرضها شعراء المسلمين عرباً وعجماً وقد أسهم فيه بعض شعراء العربية من أهل شبه القارة الهندية ونظموا قصائد شعرية لإبطال دعواه الكاذبة ، فمن هؤلاء : الشيخ العلامة أنور شاه كشميري الذي كان من أجلة العلماء وكان شيخ الحديث بدار العلوم ديوبند وله بهذا الصدد قصيدة تقع في واحد وستين بيتاً استهلها بتنبية المسلمين على الحذر من هذا المتنبي الجديد وحثهم على الكفاح ضده والقصيدة من أولها تبدو كأنما تنفخ في صور أو تدك الجبال وتزلزل الأرض لأن الشاعر من كبار شيوخ العلوم الدينية ، أظهر قلقه تجاه هذا الأمر فأخذ بمناكب القوم لنلا يقعوا في هذه الفتنة فيقول :

أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ قُومُوا	وَقُومُوا
وَقَدْ كَانَ يَنْقُضُ الْهَدْيَ وَمَنَارَةَ	
يُسَبِّحُ رَسُولٌ مِنْ أُولَى الْعَزْمِ فِيكُمْ	
خُطُوبُ الْمَثِّ مَا لَهَنَّ	يَدَانِ
وَقَدْ حَزِحَ خَيْرٌ مَا لِلذِّكِّ	تَدَانِ
تَكَاذُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ تَنْفُطِرَانِ	

ومن نقده على المتنبي :

فَشَانِيُ شَأْنِ الْأَنْبِيَاءِ مُكْفَرٌ	وَمَنْ شَكَّ قُلْ هَذَا لِأَوَّلِ ثَانِ
وَأكْفَرُ مِنْهُ مَنْ تَنَبَّأَ كَاذِبًا	وَكَانَ انْتَهَتْ مَا أَمَكْتُ بِمَكَانِ (١)

وتستمر القصيدة في الرد عليه باستدلال من الروايات المنقولة وما جرى لمسيلمة المتنبي الكذاب وأمثاله ومالك بن نويرة الذي قتله سيدنا خالد بن وليد بلفظه كلمة أوحت بتوهين ذات الرسول المقدس عليه السلام (٢)

ومنهم الشيخ محمد موسى بازى :

في قصيدته : (الحسنى في أسماء النبی العظمی) رد على القادياني بعدة أبيات منها ، فيقول مثلاً

وخاتم أنبياء الله طرّا وخاتمهم فنبّ المنكرونا
فلا يرجو النبوة بعد هذا سوى من كان دجالا لعينا
فلعنة ربنا أعداد رمل على الأتباع والمتبيننا (٣)

ومنهم الشيخ فيض الحسن الجهلمى :

الذى ساهم فى الجهاد الشعرى المعارض للفتنة القاديانية وله قصيدة بصنعة الإهمال (٣) عارض بها قصيدة المرزا الكاذب التى كان يسميها بالقصيدة الإعجازية وتحدى أهل الإسلام بإتيان مثلها مع أن القصيدة كانت فى غاية الركاقة ولم تكن بمستوى يعجز الشعراء عن معارضتها ولكن المرزا كان مبتلى بداء التعلى ولذا لما ظهر بها فى الساحة الأدبية وعرضها على رجال الفن لم يكسب إلا الفضيحة والسخرية منهم واستهدف لطن شديد من تلقاء النقدة وذوى المعرفة بعروض الشعر وقوافيه ، أود فى هذا المقام أن أن أورد بعض الأبيات من هذه القصيدة التى حسبها معجزة على تنبئه وهى تتحدث عن مناظرة علمية كانت بين أحد أتباعه وبين الشيخ الجليل ثناء الله أمرتسرى الذى تعقّب القاديانيين طول حياته وخاض معهم مناظرات كثيرة وألف الكتب فى نقض دعاويهم الكاذبة والرد على ترهاتهم وقد بلغ إلى عقر دار القادياني لكنه أبى أن يبرز له فقال المرزا متحدثا عن المناظرة :

فكان ثناء الله مقبول قومه ومنا تصدّى للتخاصم سرور
فشقّ على صحبى طريق إيراده وقد ظن أن الحق يخفى ويستتر
فصار يعد للرماح درية ويعلمها أحمد على المدبر
وقام ثناء الله فى القوم واعظا فصار يوعظ الغول قوما تنمروا
فأفردت أفراد الحسين بكرلاء وفى الحى صرنا مثل من كان يقبر (٥)

وما أن ذاعت هذه القصيدة وتحدى المرزا بإتيان مثلها حتى نهض له الكثير من علماء المنطقة وشعرائها مثل القاضى ظفر الدين وكان أستاذا بجامعة فنجاب فنظم فى نقض قصيدته قصيدة أشار إليها الشيخ ثناء الله فى كتابه (إلهامات مرزا) ومنهم أيضا الشيخ غنيمت حسين

الموننجيرى الذى قرض أطول قصيدة عربية فى هذا الباب حيث تقع فى ٢٢٥ بيتا ودرجها فى كتابه (إبطال إعجاز مرزا) الذى ألفه فى نقد قصيدة المرزا فكشف عن الأخطاء اللغوية والعروضية التى تتواجد فيها ، طبع هذا الكتاب وتوجد منه نسخة بمكتبة مجلس ختم النبوة بدينة ملتان.

نماذج من قصيدة الشيخ فيض الحسن جهلمى ، وهو من أجلة العلماء وقد أظهر براعته الأدبية وأثبت مهارته اللغوية والفنية فى قصيدته هذه وعرضها بنفسه على المرزا الكذوب أثناء زيارته لمدينة سيالكوت وطالبه بقرائتها فحسب ولكنه عجز ولم يستطع أن يقرأ ، فها هى بعض أبياتها :

لمالك ملكه حمد و سلام على مرسوله علم الكال

ثم طرح بعض الأسئلة عليه ليختبر علميته وهكذا المرزا كان يفعل إذ يفكر فى بعض

المسائل الفلسفية والمنطقية

المعضلة ويطلب معارضيه حلها ، فالشيخ لما واجهه بهذه الأسئلة كأنه رماه بسلاحه فتقدم قائلا:

أما والله أسألك المسائل اسل هلم سل أولى السؤال

ألا هل صار دعواك الرسالة كموحى الله معصوم المحال

أم اصطاد معادوك هواء أولهم الهوى سوء الملال

وهل كلم الرسول أصول علم كمسطور الإله على الأصال

وهل كلم المهدى مدلولها ما مدى العلماء ملمع الدلال

أم أسرار وملكه معمى وما اطلع العوام على المثال (٦)

وغير ذلك

الأستاذ البروفيسر أصغر على روحى :

ومن القصائد المعارضة لحركة المتنبى ما نظمها الأستاذ أصغر على روحى وكان المرزا من ألد

أعدائه ويهدى إليه هدايا من سبه و شتمه وبارزه مصرحا باسمه فى قصيدته الإعجازية فبرز

شاعرنا وقرض أطول قصيدة فى ذخيرة مادته الشعرية وهى تقع فى مائة وسبعة أبيات (٧) يقول

فى مطلعها :

تسير إلى ربيع الحبيب الزوامل فيالك شوقاً هيجته المنازل
بعد عدة أبيات فى التشبيب يتذكر الشاعر سعادة الأيام السالفة إذ كانت القلوب مليئة بحلاوة
الإيمان وكان الإخلاص يغمرها والمسلمون لا يخلط عقيدتهم كريبه ولا يشوبها ردىء :
وكانت ربوع الدين مُخَصَّلة الثرى فهذى مغانيه وهذى المواحل
لما انتهى خير القرون ولحق الضعف عقيدة المسلمين وَقَلَّتْ غيرتهم الإيمانية :
هبطنا ورب البيت حتى انتهى بنا صغاراً إلى ما لا يجاوز سافل
ترى خيل أقوم تسابق غاية ولكن جِيَاد المسلمين جَوَافِلُ
هكذا شجع قومه وحاول تنبه غافليه وتنشيط كسالاه وإصحاء سكاراه وخاصة أهل
العلم لأنهم تناسوا فريضتهم وتركوا فرصة لأعداء الإسلام يستغلونها :
لقد نام أهل العلم طراً عن التقى فيها قد نَسُوا بَطْشَ الغيور يُعَاجِلُ
ثم يأخذه طائر خياله إلى ذكر الرسول عليه السلام الذى بذكره ترتفع الهمم ويقارن بين ذاته
المقدسة وبين هذا المتنبئ الكذوب الذى يتخلى من كل فضيلة ويتحلى بكل رذيلة وهنا يشدد
أسلوبه ويعنف كلامه ناقدا المرزا نقدا علميا مزودا بمعايير مسلمة ناقضا دعاويه السخيفة
وتعليقاته الباطلة ويصف أسلوبه الشعري بالتفاهة إذ أنه يخلو من سلاسة الألفاظ وعمق الفكر :
يُبَارِى فُحُولَ الجاهلية فاخرا بمسروقة السِّفَساف والأمر هائلُ
يفآخرهم فى الشعر جهلاً وشعره على كل طبع مستنير يُثَاقِلُ
وليس قرص الشعر ما يعتز به نبى :
فسبحانه قد قال ما ينبغى له (٨)
ونراه فيما بعد يلتفت من صيغة الغائب إلى الحاضر ليكون أروع للمرزا :
تنبأت يا مغرور بعد محمد فَمَهْ يا مسيلمة الكذوب المحاولُ
أنت لنا المهدي من صلب جنكيز (٩) ومهديئنا من آل زهراء آجلُ
فلو كُنْتَ فى أيام دولة مسلم لَأُنْسِيَتْ كالماضى وذِكْرُك خاملُ
منهم الشيخ محى الدين عبد الرحمن ، وكان معاصراً للمرزا وهو أول من أفتى بكفره (١٠) نقل

الشيخ القاضى سليمان منصور فورى مؤلف (رحمة للعالمين) فى آخر كتابه (غاية المرام)
وفيه رد على أكاذيب المرزا ، عدة أبيات شعرية للشيخ محى الدين فى حماية الإسلام والرد على
المتنبئ زولكم بعضها :

جديد فيه تبع الكافرينا	نجاهد من يخالفنا بدين
فأيد دينهم كُفراً مُبيناً	فصار مصداقاً نقل النصارى
لدين الكفر دون المؤمنين	وقال بأن مذهبه قريب
غداً ضداً لدين المسلمينا	فهذا الدين دين القاديانى
لدين الله دين المرسلينا	فنسأل ربنا نصراً عزيزاً
ونبغض من يحب المُلحدين	فنحن ندين دين الله حقاً

هذا بعض ما يتعلق بالقصائد المستقلة التى وضعت فى هذا الباب ولا يخفى على من يطالع فى
الشعر العربى الناتج من تلقاء أبناء شبه قارة باكستان والهند أنه يحتوى على أشعار تتحدث عن
ختم النبوة وهى متناثرة فى قصائد الأغراض الشعرية الأخرى ، أختتم هذا المقال مشيراً إلى أن
الفتنة القاديانية فقدت شوكتها فى باكستان وانكسرت أسنانها وضلت ممرها بفضل الجهود
التى بذلها العلماء حيث قعدوا لها كل مرصد وتعقبوا أهلها فى غور الأرض ونجدها وقرت عيون
المسلمين أخيراً بقبول البرلمان الباكستانى فى سنة ١٩٤٧م القرار الذى عرض عليه ينص
بكفر أتباع المرزا غلام القاديانى رسمياً ودستوراً وبذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت واضطر
قادتهم إلى مغادرة باكستان واتخاذ بريطانيا مستقراً لأنفسهم ومثوى.

الهوامش

- (١) اقرأ القصيدة في مجلة الرشيد : العدد الخاص بالمدائح النبوية ص : ٢٣٠ ٢٣٢
- (٢) مالك هذا استعمل أثناء الكلام كلمة [صاحبكم] مشيراً إلى النبي ﷺ وفيه قال شاعر القصيدة :
وقد أخذوا في مالك بن نيرة
بصاحبكم للمصطفى كاداني
- (٣) اقرأ الأبيات في مجلة الرشيد ، ص : ٣٦١
- (٤) تعني صنعة الإهمال استخدام حروف غير منقوطة
- (٥) اقرأ الأبيات في (فتنه قاديانيت اور مولانا ثناء الله) ل : صفى الرحمن أعظمي
- (٦) نشرت هذه القصيدة في آخر كتاب (تاريخ محاسبه قاديانيت) : خالد شبير أحمد
- (٧) اقرأ القصيدة في ديوان الشاعر الذي طبع في مجلة المجمع العربي الباكستاني
- (٨) إشارة إلى قوله تعالى : وَمَا عَلَّمْنَا الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ [يس : ٢٩]
- (٩) ادعى المرزا أنه من نسل جنكيز خان مع ادعائه أنه المهدي الموعود والحديث ينص على أن المهدي سيكون من سلالة بني هاشم وأن اسمه يواطى اسم النبي ﷺ واسم أبيه يواطى اسم أبي نبينا عليه السلام
- (١٠) ألف رسالة في تكفير المرزا وأتباعه وطبعت في سنة ١٨٩٠م فوراً بعد إعلان النبوة من جانب المرزا

المراجع

- (١) مجلة الرشيد، العدد الخاص بالمدائح النبوية ، الصادر من المكتبة الرشيدية بـ ١٤١١ هجرية
- (٢) تاريخ محاسبه قاديانيت ، خالد شبير احمد ، كاروان ادب ملتان ١٩٨٤
- (٣) مجلة المجمع العربي الباكستاني ، بتحقيق الدكتور رانا ذو الفقار على ل كلية اللغة العربية لجامعة فنجاب ، سنة ١٩٩٣ م
- (٤) غاية المرام (بالأردية) للمقاضي محمد سليمان منصور فوري ، مطبعة كاشي رام بـ ١٣٣٣